شعر..

قوس الشمّاخ*

١- فحلاها عن ذي الأراكة عامرٌ
أخوا الخُضْرِ، يرمي حيث تكوى النواحزُ
٢- قليل التِّلادِ، غيرَ قوس وأسهم،
كأن الّذي يَرْمِي من الوحشِ، تارزُ
٣- مُطَلا بِزُرق ما يداوَى رميُّها،
وصفراءَ من نبع عليها الجَلائزُ
٤- تَخيَّرها القواسُ منْ فرع ضالة
لها شَذَبٌ منْ دُونها وحواجزُ
٥- نَمَتْ في مكان كنَّها، فاستوَتْ به،
فما دونها من غَيْلها مَتَلاحزُ
٦- فما زالَ ينجو كُلَّ رَطْب ويابس
ويَنْغَلُّ حتى نالها وهو بارزُ
٧- فأنحى عليها ذاتَ حدٍّ، غَرابُها
عدو لأوساط العضاه مُشارزُ
٨- فلما اطمأنَّتْ في يديه.. رأى غَنىً
أحاطَ به، وازورَّ عمَّنْ يحاوزُ
٩- فمظَّعها عامينِ ماءَ لحائها،
ويَنظرُ منها: أيَّها هو غامزُ
١٠- أقام الثقافُ والطريدةُ درْأها،
كما قوَّمَتْ ضغْنَ الشَّمُوسِ المهامزُ
١١- وذاقَ.. فأعطتْه من اللينِ جانبا
كَفى - وَلَهَا أن يُغْرِق السهمَ حاجزُ
١٢- إذا أنبضَ الرامونَ عنها، ترنَّمَتْ
ترنُّمَ ثَكْلى أوجعتها الجنائزُ
١٣- هَتوفٌ.. إذا ما خالط الظبيَ سهمُها!
وإن ريْعَ منها أسلمتهُ النواقزُ
١٤- كَأنَّ عليها زعفرانا تُميْرَهُ
خوازنُ عَطَّار يَمانٍ كوانزُ
١٥- إذا سقط الأنداءُ، صيْنَتْ وأُشْعرتْ
حَبيرا، ولم تُدْرجْ عليها المعاوزُ
١٦- فوافى بها أهلَ المواسم، فانبرى
لها بَيِّعٌ يُغْلي بها السَّوْمَ رائزُ

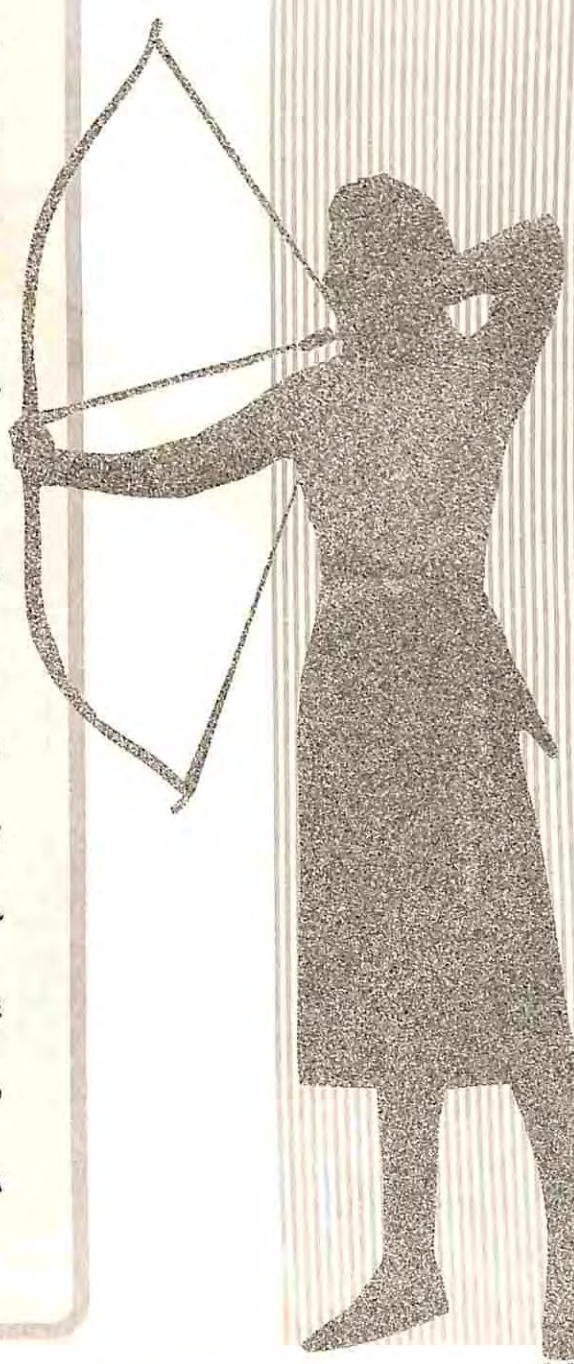

* الأبيات التي استوحاها الأستاذ محمود محمد شاكر في « **القوس العذراء**».. وهي للصحابي الجليل الشَمّاخ بن ضرار الذبياني، شهد القادسية وتوفي سنة ٢٢ للهجرة في معركة موقان.

١٧ـ فقال لهُ : هَلْ تشتريها؟! فإنها
تُبـاعُ بما بِيْعَ التِّلادُ الحرائزُ!

١٨ـ فقال : إزارٌ شَرْعبيٌّ، وأربَعٌ
من السِّيراءِ، أو أواقٍ نواجزُ

١٩ـ ثمانٍ من الكوريِّ، خُمْرٌ، كأنها
من الجَمْرِ ما أذكى على النار خابزُ

٢٠ـ وبُرْدان من خال، وتسعون درهما،
على ذاك مَقْروظٌ من الجِلْدِ ماعزُ

٢١ـ فظلَّ يُناجي نفسهُ وأميرَها
أيَأْتي الذي يُعْطَى بها أم يجاوزُ

٢٢ـ فقالوا له : بايعْ أخاك.. ولا يُكُن
لكَ اليومَ عَنْ ربْحٍ من البيْعِ لاهزُ

٢٣ـ فلما شَراها فاضت العَيْنَ عَبْرَةً
وفي الصدرِ حزازٌ من الوجدِ حامزُ

الهوامش

(١) حلأها : طردها عن الماء ومنعها، والضمير لحمر الوحش.

وذو الأراكة : موضع ماء. والخضر : قبيلة منها عامر الخضري الرامي، معمر، ذكره امرؤ القيس في شعره. والنواحز (جمع ناحز) : داء يصيب الحيوان في رئته فيسعل منه، فيكوى جنبه فيشفى.

(٢) التلاد : المال القديم الموروث. تارز : الذي يبس في مكانه ومات.

(٣) الزرق : السهام في شدة بياضها. والرميُّ : المرميُّ . والنبع : شجرة تتخذ منه القسي، أصفر. والجلائز عصب يلوى على القوس ليشدها من غير عيب بها.

(٤) الضال : شجر تتخذ منه السهام كالنبع، أصفر، طيب الرائحة.

الشذب : الأغصان المتفرقة المتهدلة من الشجرة.

(٥) كنها : سترها في كن. والغيل: الشجر الملتف، ويسكنه الأسد ويحميه. وشجر متلاحز: متضايق دخل بعضه في بعض.

(٦) ينجو : يقطع ما يؤذي. ينغل : يدخل في شيء متلاحم على مشقة. بارز : ظاهر للشمس.

(٧) أنحى عليها : قصد وأقبل يقطعها. وغراب الفأس: حدها المرهف. والعضاه: شجر عظيم ذو شوك. مشارز: شرس سيئ الخلق.

(٨) أزور : مال وأعرض. من يحاوز: من يخالطه من أصحابه الذين في حوزته.

(٩) مظعها : وضعها في الشمس لتشرب ماء لحائها. واللحاء : قشر العود. وغمز العود : جسه، لكي ينظر أين يلينه ويقيمه.

(١٠) الثقاف : خشبة في طرفها خرق يتسع للقوس، فتدخل فيها وتغمز حتى تسوى. والطريدة : قصبة مجوفة خشنة الحواف تدخل في القوس لتبري قشرتها. الدرء: العوج. والشموس: الفرس العصية الجموح. والمهامز (جمع مهماز) : تنخس به الدواب لتستقيم. وتقويم ضغنها : تأديبها حتى يلين قيادها.

(١١) ذاق : جذبها ليختبر شدتها أو لينها. كفى : أي كاف لا يزيد عن الحاجة. يغرق السهم : أي يستوفي جذبها فيلين، فربما قطع السهم يد الرامي. يقول : لها حاجز من القوة والصلابة يمنع لينها أن يبلغ به الرامي إلى إغراق السهم.

(١٢) أنبض القوس : جذب وترها، فإذا أطلقه نبض ورن. الثكلى: التي مات ولدها. والجنائز (جمع جنازة) : وهو الميت نفسه هنا.

(١٣) هتوف : لها صوت عال. وحذف جواب «إذا» كأنه معلوم لا شك فيه، أي إذا أصابه السهم مات على المكان. ربع: ذعر. وأسلمته : خذلته ولم تحمله. والنواقز. قوائمه التي ينقز بها، أي يقفز.

(١٤) الزعفران: من الطيب، أصفر، من زينة النساء ولا سيما في العرس. تميره : تصب فيه الماء لتذيبه. والخوازن : النساء التي تخزنه. والكوانز : التي تكنزه في وعاء، وأهل اليمن مشهورون ببيع العطر وصناعته.

(١٥) الأنداء (جمع ندى) : وهو بلل الصباح. أشعرت : ألبست. والحبير : ثوب موشى من الحرير الناعم. والمعاوز: الثياب الخلقة يلبسها المساكين. لم تدرج : لم تطو عليها، بل تصان بالحرير.

(١٦) أهل المواسم : مجامع الناس في زمن الحج. بيع : مشتر يحسن البيع والشراء. والسوم: المساومة. رائز : مختبر لشدتها ونقلها.

(١٧) التلاد: المال القديم الموروث. الحرائز: التي تحرز ولا تباع لنفاستها.

(١٨) الشرعب : من أجود الثياب وأغلاها. والسيراء : ثياب مخططة نفيسة. أو أواق : «أو» بمعنى واو العطف هنا. والأواقي (جمع أوقية) وهي من الموازين. نواجز : حاضرة غير مؤجلة.

(١٩) ثمان : يعني ثماني أواق من الذهب. والكوري : منسوب إلى كور الصائغ الذي توقد فيه النار، يعني ذهبا مصوغا. والخابز: صانع الخبز على النار.

(٢٠) بردان : تثنية برد. والخال : موضع تصنع به الثياب النفيسة الرقيقة. على ذاك : أي مع ذاك. والمقروظ : المدبوغ بالقرظ : والماعز : جلد المعزى، وهو من أجودها.

(٢١) أميرها : الذي يؤامره ويشاوره. يجاوز : يتركه ويمضي.

(٢٢) لاهز : دافع مانع.

(٢٣) شراها : باعها. وحزاز: قاطع يحز حزا شديدا. والوجد : أشد الحب وأحره. وحامز : ممض محرق.